المرحلة الأولى: استكشاف القدرات القتالية للعدو:

زحف صلاح الدين من مصر، شمالاً، باتجاه الساحل الفلسطيني «فأغار على أعمال عسقلان والرملة» بعد أن هزم الصليبيين في «حصن داروم» عند «ربض غزة» عام 566هـ (كانون الأول/ ديسمبر عام 1170)، وعاد إلى مصر[20]. ثم عاد فزحف في العام التالي (567هـ = خريف عام 1171م) من مصر شمالاً بشرق، حيث اجتاز المفازة الواقعة جنوب شرقي البحر الميت، وأطل على الصليبيين مفاجئاً إياهم عند حصن «الشوبك» فحاصره، ثم حاصر الكرك وقلعتها، على الحدود الشرقية لمملكة «بيت المقدس» الصليبية، ثم عاد إلى مصر[21]. وفعل صلاح الدين الشيء نفسه في العام التالي (568هـ = تموز/ يوليو 1172م) فحاصر الكرك ثم عاد عنها إلى مصر عن طريق وادي عربة بعد أن دمّر المنطقة الواقعة خلف نهر الأردن، ولم يبق للصليبيين سوى موقع «الكرمل» (جنوب شرقي الخليل، على الضفة الغربية للأردن)، حيث لجأ الملك عموري بجيشه خشية مواجهة صلاح الدين[22]، وقد اعتبرت عملياته هذه محاولة عسكرية ناجحة لاستكشاف القدرات القتالية للعدو[23]. ونحن من هذا الرأي، نظراً لأن صلاح الدين كان يدرك، ولا شك، أن ليس باستطاعته مهاجمة المملكة الصليبية والانتصار عليها قبل توحيد مصر وبلاد الشام تحت سلطة إسلامية واحدة. إلا أن ابن الأثير يرى أن ضغينة قامت، من جراء ذلك، بين نور الدين وصلاح الدين، مما أوجب أن يعود صلاح الدين، في المرتين الأخيرتين، إلى

---

(20) الصوري، المصدر السابق، ج 2: 948، وابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 365. وداروم تحريف لعبارة «دار الروم»، وهي قلعة كانت تقع عند غزة، على الحدود بين مصر وفلسطين (الصوري، م. ن. ص 949).

(21) الصوري، المصدر السابق، ج 2: 963 ـ 964، ورنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 637، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 11: 371 ـ 372.

(22) ابن الأثير، م. ن. ج 11: 392 ـ 393، والصوري، المصدر السابق، ج 2: 964 ـ 965. والكرمل هذه هي غير جبل الكرمل الواقع على الساحل الفلسطيني قرب حيفا، وهي قرية قديمة كانت تقع على نحو 7 أميال جنوب شرقي الخليل، بالقرب من المنطقة الواقعة فيما وراء الأردن التي يفصلها عنها «وادي عربة» (الصوري، م. ن. ج 2: 965). وانظر: عبد الملك، بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص 778.

(23) دجاني ـ شيكل، هادية، القاضي الفاضل عبد الرحمن البيساني العسقلاني، ص170.